المحاضرة الثالثة: الآداب الغربية القديمة

تضمن هذه الوحدة عرضا موجزا لتطور الآداب الأوروبية، من أدب اليونان القديم إلى الأدب اللاتيني، إلى آداب العصور الوسطى، وذلك بالتوقف عند بعض القمم الأدبية الأكثر تمثيلا لعصرنا، مع محاولة استجلاء بعض خصائص هذه القمم من الناحية الفنية، وتفسير مسألة خلودها حتى عصرنا هذا مثل هوميروس، وفرجيل، ودانتي... وغيرهم.

1- الأدب اليوناني القديم:

ما إن يذكر الأدب اليوناني حتى تبرز إلى الذهن ألوان ثلاثية ممتعة من الأدب:الأساطير/ الملاحم/ المسرح. واتسمت هذه الألوان الأدبية اليونانية الثلاثة بسمات خاصة دالة عليه:

-أنه أدب إنساني يعالج مشكلات الإنسان في تجربته الحياتية مع غيره من الناس ومع آلهته.

- يتجه اتجاها نفسيا للكشف عن خفايا النفس البشرية.

- أنه خصب الخيال، يعتمد على التشخيص الناجم عن تصوير وجود الأرواح في عناصر الطبيعة، مما يجعل العنصر الدرامي فيه شديد التجلي.

-أدب متناسق، يتسم بالانسجام والتناغم، معبرا عن الذوق الغني في مجال الصنعة الأدبية.

-الميثولوجيا (Mythology):مكونة من شقين ميثو مستمدة من الكلمة الإغريقية Mutho وتعني أسطورة أو حكاية تقليدية تخص الآلهة والأبطال. أما كلمة Logyفمعناها علم Mythology=علم الأساطير، وبالفرنسية Mythologie ، أي هو ذلك العلم الذي يهتم بدراسة وتفسير الأساطير خاصة المتصلة بالآلهة والأبطال الخرافيين كما تشير إلى مجموع الأساطير التي تخص شعبا ما.

الملاحم(الملحمة)

قصيدة قومية شعرية بطولية خارقة تسرد حوادث متشعبة لها أساس تاريخي ويمتزج فيها الحقيقي بالمتخيل و لذلك قيل عنها "الملحمة هي التاريخ على أعتاب الأسطورة" وهي غير مقيدة بوحدة الزمان والمكان مثل المسرحية، ولكنها تستوجب وحدة الموضوع، ولها عناصر القصة (المقدمة والعقدة والنهاية) .

أهم الملاحم اليونانية:

أ-الإلياذة:L'éliade: وتعني كلمة إلياذة ملحمة إليون عاصمة مدينة طروادة وهي إحدى ممالك آسيا الصغرى، ملكها " بريام". وتروى أحداث السنة العاشرة (من حرب طروادة 1100/1200 ق.م) وتتضمن 24 كتابا أو فصلا في نحو 16 ألف بيت، وكان الشعراء الملحميون والجوالون يرددون على قتياراتهم أناشيد وأغاني وتراتيل تصف هذه الحرب وأبطالها، ويضاف اليها جيل بعد جيل *حتى جاء هوميروس فأبدع في إعادة صياغتها وخلقها بما هي عليه الان في القرن (9 ق.م) أو (750/850 ق.م)وجمعت ونقحت بعد قرن من وفاته من طرف الطاغية الاثيني بيسيستراتوس.

ب- الأوديسةodyssé: تروي في 12 ألف بيت من الشعر (24 نشيد) مغامرات يولسيز (أوديسيوس) وسميت بدلك نسبة إلى بطلها.

المسرح الاغريقي: ظهور المسرح عند الإغريق ارتبط بالقرن 4 -5 ق.م وهو العصر الذهبي لأثينا، لأنها عرفت في هذه الفترة على المستوى الإبداعي إنتاج أرقي المسرحيات، وارتبط المسرح في أصوله بعبادة الاله باخوس (ديونيسوس) فكلمة كوميديا اشتقت من كلمت komos أي الاغنية الماجنة أو أغنية جماعة باخوس المعربدين، أما التراجيديا اشتقت من كلمة أغنية الماعز (tragédie) أو نسبة إلى الساتيرو ى (جوقة الديثورامبيوس) المتنكرين بجلود الماعز .تعد إذا الأغنية الديونيسيسة (satyroi) الجماعية من أهم عوامل ظهور فن الدراما بفروعها الثلاث: الكوميديا و التراجيديا والمسرحية الساتيرية.

أهم شعراء ومجديدي المسرح الإغريقي:

1- اسخيليوس: أبو التراجيديا /أهم مؤلفاته :ثلاثية الأوريستيا وتتكون من ثلاث مسرحيات أغاممنون/ حاملات القرابين/الصافحات أو الضارعات) تركز على مبدأ اللعنة المتواترة (الجريمة والعقاب).

2- سوفوكليس: أهم مؤلفاته :أنثيجونا /الكترا/ أوديس ملكاً....ولقد عاش في المرحلة الذهبية للأدب الإغريقي ؛ مرحلة النضج والكمال .

3- يوريبيديس: اتهم بتمزيق الفن التراجيدي الأصيل/ أهم أعماله: ميدية/ هيبوليت متوجا /التروادیات/ هيلانة / اندروماك/ الفينيقيات/

4- أريستوفانيس: أعظم كتاب الملهاة اليونانية أهم أعماله: البابليون /الغيوم أو السحب/ الضفادع/ الطيور/ أعياد ديميتر /جمعية النساء...

2- الأدب اللاتيني (700 ق م- 500م)

لمحة عن الأدب اللاتيني:

نشأت روما خلال القرن (السابع ق.م) ثم اكتسحت شمال أوروبا وغربها (فرنسا وبريطانيا) ثم حوض البحر الأبيض المتوسط في (100ق.م) أي القرن الأول قبل الميلاد وكانت لغة القوة هي اللغة الأساسية التي اعتمدها الرومان وانتهى تاريخهم في القرن الخامس ميلادي بسقوط روما على يد البرابرة .

لقد عكس أدبهم حياتهم الفكرية والسياسية والاجتماعية ، وكانوا عالة على الفلسفة اليونانية، والاتجاه الفاسفي الوحيد الذي يستحق الذكر هو (لأفلاطونية الحديثة) ،وأمامه هو أفلوطين الأسكندري (203-269م)متخطيا أفلاطون فقط في تأثره بالأفكار الدينية والمسيحية المعاصرة له كما قلدوا أيضا صور الأدب اليوناني وفنونه وأبرزه الشعر المسرحي وكانوا أشد إقبالا على الملهاة ، ونظموا الشعر بفنونه المختلفة كالشعر الفلسفي والتأملي وشعر الحب والوجدان وأفاضوا في وصف مشاهد الفجور والملذات ونظموا كذلك أشعار السخرية وأبدعوا فيها ، وكان ذلك كله تعبيرا عن النزعة الحسية المادية التي سادت الحياة الرومانية1.

- **الشعر الأليجي:** ومن أبرز شعراء هذا النوع من الشعر، الشاعر (أوفيد) (43 ق.م- 17 أو 18 م) ، ويعد أكثر شعراء (الشعر الأليجي) إبداعا وهو نمط من الشعر الذاتي ، وله نظام خاص في بناء القصيدة وأوزانها ، وكان تأثيره قويا على شعراء عصر النهضة في ايطاليا ، وكذلك على شكسبير ومعاصريه ومن تبعهم من شعراء القرن 18 و19 م ومن أهم كتبه النثرية:مسخ الكائنات (ميتو مورفوزيس).
- **الشعر الملحمي :** لقد أحدث فرجيل تحولا عميقا في عالم الشعر اللاتيني (70-19 ق.م) وذلك بعد أن نظم أناشيد الرعاة العشرة وأشعار الحقول في أربعة كتب.و نظم ملحمة اللاتينية القومية الكبرى (الإنيادة) ، مستهدفا تمجيد الشعب الروماني والإشادة بالإمبراطور أغسطس ممثل العظمة الرومانية في عصره موضوعها : بنيت الإنيادة على أسطورة شعبية ليس لها سند من التاريخ تقول أن الأمة الرومانية سليلة الطرواديين الذين قصدوا روما بعد سقوط مدينتهم على يد اليونان وأن أغسطس ينحدر من صلب قائد الطرواديين إينياس (إنياد) هدفها إضافة هالة من المجد اليوناني على الشعب اللاتيني وحضارته وتقع في 12 كتابا (1896 بيتا)نصفها الأول يدور حول الحرب والبطولات محاكاة للإلياذة ونصفها الثاني يصف المغامرات والتجوال على نمط (الأوديسة) 2
- **الخطابة:** ويمثلها المؤرخ والخطيب والفيلسوف والناقد شيشرون امتد تأثيره 16 قرنا بعد وفاته ظلت بلاغته نموذجا يحتذى بها في أوربا في القرن 18 واتسم أدبه بالنزوع إلى جمال الشكل وكان المثل الأعلى عندهم هو كمال التعبير وإتقان الأسلوب إذ اعتبرت البلاغة أرقى مرتبة في سلم الأخلاق ولقد ارتبط النثر اللاتيني ولاسيما الخطابة بالقضايا السياسية.3

الخلاصة : لقد بلغ الأدب الروماني في عصره الذهبي (100 ق م -14 م)ويسمى كذلك بالعصر الاغوسطيني وفيه ظهر عمالقة الأدب اللاتيني مثل فرجيل / هوراس/ أوفيد وفيه تألقت اللغة اللاتينية وظلت لغة العلم والثقافة والدين في أوروبا حتى مطلع الأزمنة الحديثة.

3- الآداب الأوروبية في العصور الوسطى:

تمهيد:

مع إطلالة القرن(5م) كانت المسيحية قد انتشرت في أنحاء أوربا معلنة على ابتداء مرحلة فكرية جديدة، وقسم المؤرخون هذه الحقبة إلى مرحلتين:

المرحلة الأولى: امتدت إلى غاية القرن 10م) بعد الميلاد وسميت هذه المرحلة بعصر أباء الكنيسة حيث سيطر رجال الدين فيها على الفكر والفلسفة ولم يبرز فيها من المفكرين سوى القديس أوغسطين(354م/430م) وكان إمام المسيحيين وأستاذهم، وتميز بمنحاه الديني المباشر، وكانت حملات الاضطهاد الديني وسيلة لتقويم الفكر(محاكم التفتيش)

المرحلة الثانية: امتدت إلى غاية 1500م أي حتى بدء عصر النهضة واصطلح على هذه المرحلة ب "العصر المدرسي"، وذلك لظهور مسائل فلسفية كثيرة تتصل بجوهر الإيمان المسيحي، شغلت الفلاسفة المدرسين وأبعدت الناس عن الإبداع، بدأ في مطلع القرن 11 م انحصار السلطة المطلقة لأباء الكنيسة فأتيح للأوروبيين الاتصال بالتراث الفكري اليوناني، واحتكاكهم بالحضارة العربية المزدهرة في الأندلس آنذاك وكانت من أهم العوامل التي أسهمت في كسر طوق العزلة الفكرية والأدبية من حولهم، وانتشرت في هذه الفترة أراء أفلاطون، ثم أرسطو، مستعينين بترجمات العرب وشروحاتهم.

الأدب في الفترة الأولى: 500م-1000م رافق الاضطراب السياسي والاجتماعي في العصور المظلمة هيمنة) مباشرة للكنيسة في شؤون الفكر والأدب لتفادي ذلك مع عوامل أخرى إلى ضآلة الإنتاج الأدبي ذي الاتجاه الكلاسيكي، وظلت اللاتينية كما في العصر الروماني، لغة الأدب والسياسة، وعلى الرغم من أن هذه الفترة شهدت بدء نشوء اللغات المحلية وتبلورها، فإنها لم تسجل وجودا أدبيا ذا شأن حتى نهاية المرحلة، وكانت بواكر أدب هذه اللغات الناشئة شفوية، ولم يتم تسجيلها إلا بعدر زمن.

أقسام أدب العصور الوسطى: قسم على أساس الجنس واللغة إلى قسمين:

- أدب الشمال الجرماني: ويشمل الأدب الانجليزي والأدب الأسكندنافي.
- أدب أوربا الجنوبية والغربية: ويشمل الآداب الكلتية والفرنسية والإسبانية والإيطالية.

وتتألف معظمها من قصص و ملاحم وأساطير و أغاني تدور حول حياة الفروسية وتجمع بين الإبداع في الحب والحرب معا، وتنقسم إلى مجموعات، تدور كل مجموعة حول بطولات ومغامرات، متمركزة حول شخصية ملكية أوربية بارزة في التاريخ أو الأسطورة.

وتتشابه في مفهومها البطولي كتصدي البطل لتنين أسطوري مرعب، أو نجدة مجموعة من الحسان بدافع الشهامة ،أو يتحول في طلب الأشرار والمذنبين ليقتص منهم، ورفع لواء الفضيلة والأخلاق(وهذه المثل التي حركت دون كشوف فيما بعد والتي بدت في نظر الناس حماقات بعد أن اندثر نظام الحياة الذي انبثقت منه).

النماذج الأدبية لهذه الفترة: كانت اللغة الانجليزية أكثر حظا من سائر اللغات الشعبية، فوصلتنا بها بعض الملاحم الشعرية منها:

ملحمة بيوولوف(700م): وهي ملحمة اسكندنافية جلبها الغزاة الانجليز معهم من الدانمارك والنرويج، وتدور حول تنين مخيف يهدد ملك الدانمارك في قصره، فيتصدى له البطل بيوولف مع أصحابه فيقتله ثم صراع آخر مع أم التنين المنتقمة، فيقتلها، ثم يتسلم بعد ذلك عرش الدانمارك.

تمثل هذه الملحمة جانبا كبيرا من عقلية الشمال الأوربي في العصور المظلمة المؤمنة بوجود الكائنات الخرافية وتقدم صورة عن المجتمع في أحد البلاطات في ملبسهم ومأكلهم وتحذو حذو الملاحم الكلاسيكية في حجمها وموضوعها والإيمان بالقدر وتمهيد الشجاعة.

الأدب في الفترة الثانية:(1000م-1500م)، أهم ما يميز هذه الفترة بدء ظهور الآداب الأوربية كألمانية والإنجليزية والفرنسية والإيطالية والإسبانية، واتخذ التطور الأدبي في هذه الفترة اتجاهين رئيسيين:

1- الملاحم المسيحية(الدينية): لقد نشأت الملاحم المسيحية في العصور الوسطى من الصدام بين الشرق والغرب، ولاسيما منذ عهد الملك شارلمان(742-814م) حتى انتهاء الحروب الصليبية، ولقد أعطت هذه الصدمات لشعراء الملاحم مادة خصبة كإفتتانهم بوصف المعارك بين جيوش المسلمين وجيوش الصليبيين، والتغني بالبطولات والمآثر الخلقية والدينية والبطولية لقادة الفرنجة، وقد أكسبوهم قوة الأبطال الأسطوريين تأثرا بالأدب الإغريقي لدرجة يصعب معها تمييز الواقع من الخيال ومن أهمها:

- **ملحمة رولاند:** تعد من أقدم الملاحم المسيحية المعروفة في (القرن11م) وتتألف من (4 آلاف بيت) وملخصها:

وهي تروي قصة ذات أصل تاريخي كان يغلب عليها الخيال المتجاوز للتاريخ والواقع التاريخي يروى أن والي مدينة سرقسطة، الأمير سليمان بن يقظان ابن العربي توج على حكم عبد الرحمن الداخل وأرسل إلى شرلمان يغريه باحتلال اسبانيا ووصلت جيوشه المدنية عام (778م) ليتفاجأ بمقتل الأمير الخائن وتنصيب أمير جديد مصمم على مقاتلة الغزاة، فيعود شرلمان منهزما، ومن خلال انسحابه تهاجم مؤخرة جيشه من طرف فلاحي غسقونيا المسيحيين، واستطاع عبد الرحمن الداخل إعادة السيطرة الأموية على شمال اسبانيا.

- **الكوميديا الإلهية (الملهاة الإلهية):** والتي تعد خاتمة أدب العصور الوسطى وفاتحة الآداب الأوربية الحديثة، وهي واحة من تباشير عصر النهضة للشاعر الإيطالي دانتي اليغييري (1265-1321م) وتعد أعظم قصيدة أوربية في موضوع الخطيئة والتوبة والخلاص والثواب، وهي أشبه بموسوعة تضم معتقدات العصور الوسطى ومعارفها ومفهوماتها، وتتكون من ثلاثة أقسام الجحيم/المطهر/ الفردوس/ متأثرا فيها بقصص المعراج. وبمحي الدين ابن عربي في (رحلة إلى مملكة الله)، وهناك من يرى أنه تأثر أيضا برسالة الغفران لأبي العلاء المعري.لم يأخذ دانتي عن"التراث الإسلامي المعالم العامة للفردوس فحسب بل أخذ عنه كثيرا من التفاصيل المحددة التي نجدها مبثوثة في كل مكان في الكوميديا الإلهية"

2 . الشعر الغنائي (التروبادور): برز في نهاية ق 11 م وفي القرن 12 م الشعر الغنائي في جنوب فرنسا، أطلق عليه اسم الشعر البروفنسالي، كان جديدا شكلا وموضوعا، مما أدى إلى الاعتقاد بأنه نتج عن التمازج بين العرب والفرنجة في جنوب فرنسا وشمال اسبانيا ومن مظاهر الجدة، الافتتان بالموسيقى والقوافي ووفرة الخيال والتأنق الأدبي والعواطف الرومانسية الزائدة، تنشد مثلها الأعلى في السيدة لا في العذراء، مناقضة معتقدات الكنيسة، متأثرين بفن الموشحات في الشعر العربي بالأندلس، فالعرب لم يفتحوا عيون أوروبا خلال العصور الوسطى على الفكر والعلم فحسب بل أسهموا في بعث أفضل ما أنتجته أوروبا من الشعر في تلك العصور.

وفي نهاية العصور الوسطى تنوعت الأشكال الأدبية فظهرت التمثيلية الخلقية والتمثيلية المعجزة والتمثيلية الملغزة، والقصائد القصصية الخيالية وفي نهاية هذه المرحلة ظهرت رائعة دانتي الخالدة (الملهاة الإلهية).